

وأخطأ في الغنى كما أبطل في الدعوى .

وتلك سبيل مقالات المتكلفين وعاقبة دعاوى المبطلين .

قلت^(١) في إعجاز القرآن وجهاً^(٢) آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ؛ فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً .

خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمد لقتله ، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه ، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن . وبعث الملاء من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوافقوه^(٣) على أمور أرسلوه بها ، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من حم السجدة ، فلما أقبل عتبة وأبصره الملاء من قريش

(١) يلخص السيوطي في الإتيان ٢ ص ٢٠٥ رأى الخطابي هنا في هذا الوجه من الإعجاز ويلخصه كذلك صاحب مفتاح السعادة ط حيدر آباد ٢ / ٣٦١ .

(٢) أثبتها (١) وجه .

(٣) أثبتها (١) « ليوافقه » وليس هذا مراداً هنا .

قالوا : أَقْبِلْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ . وَلَا قِرْأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْسِمِ عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ حَضَرُوهُ مِنَ الْأَنْصَارِ آمَنُوا بِهِ وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَظْهَرُوا الدِّينَ بِهَا ، فَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِنْ بَيْوتِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهِ قُرْآنٌ . وَقَدْ رُوي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : فَتَحَتْ الْأَمْصَارُ بِالسَّيُوفِ وَفَتَحَتْ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ .

وَمَا سَمِعْتَهُ الْجَنُّ لَمْ تَمَالِكْ أَنْ قَالَتْ : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (١) . وَمَصْدَاقُ مَا وَصَفْنَاهُ فِي أَمْرِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٣) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٥) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٦) فِي آيِ ذَوَاتِ عَدَدٍ مِنْهُ ، وَذَلِكَ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَهُوَ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَدَلَائِلِ مُعْجَزَاتِهِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قِيَمًا ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، غِيْظَ الْكَافِرِينَ ، وَحَتَفَ الْمَلْحَدِينَ ، الْمَبْعُوثَ بِدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) [الجن ٧٢/٢٠١] . | (٢) [الحشر ٥٩/٢١] . |
| (٣) [الزمر ٣٩/٢٣] . | (٤) [الأنفال ٨/٢] . |
| (٥) [الأنفال ٨/٢] . | (٦) [الأنفال ٨/٢] . |